اتيل عدنان

مغامرة التلوين والكتابة الشعرية

الدخول الى عالم اتيل عدنان(*)، يستدعي احاطة ولو جزئية لتنويعات تجاربها التشكيلية التي توالدت خلال اكثر من ثلاثين عاما... فالهاجس التلويني الذي بدأ فجأة بالظهور، في المحاولات الاولى لمزاولة الرسم في شتاء العام ١٩٥٩، جاء في مرحلة متأخرة...

فقد اكتشفت اتيل ان النزعة التلوينية (التلقائية الحية والطبيعية) تستمد جذورها من الطفولة والوعي المبكر للحياة وموجوداتها، وذلك عندما بحثت عن اجابة منطقية لسؤال زميلتها الرسامة آن اوهانو (رئيسة قسم الفنون في جامعة كاليفورنيا، التي كانت اتيل تزاول فيما في اواخر الخمسينات مهنة تدريس مادة فلسفة الفن): "كيف تعلّمين الفن ولا تمارسينه؟".

هذا السؤال الفاضح فتح آفاق المحاولة وازال عن اليد اشكاليات الحيرة، التي فرضتها وقائع الذكريات، التي تمتد الى سنوات الطفولة، حين أغنق خوف امها الشديد على فقدان الاشياء والامكنة باب المغامرة ولذة الاحساس بالنشوة الابتكارية التي تمتلكها الطاقة الحيوية لانامل الاطفال.

وظهرت المحاولة التلوينية الاولى (حين خطت اتيل عدنان اول اشارة لونية بالباستيل) كما لو انها مربع سحري فتح الابواب على ابجدية الرموز الطفولية المنسية التي تتفاعل بشغف مع ايقاعات التلوين الحر.

شعرت اتيل، حين شاهدت لوحاتها الاولى تزيّن جدران مدرسة الفن في كاليفورنيا، ان الخوف الذي لجم طاقة اليد على الابتكار قد زال، وان التقدير الذي منحتها اياه الرسامة اوهانو هو العلامة الاولى لبداية الطريق الصحيح.

هكذا تنوعت التجارب الاولى وتدرجت في ايقاعاتها التجريدية من مظاهر اللطخة اللونية (العضوية التي تعكس طاقة اليد والمشاعر نتيجة التصاق طبشورة الباستيل بالورقة) الى استخدام اللون من اجل المتعة الابتكارية والتفرقة بين العناصر (بعد دخول عناصر تركيبية مختلفة في تكوين اللوحة).

ولم تكن اتيل عدنان تدرك معاني هذا المربع السحري الذي كان يطفو على سطح الوانها، الى ان جاء تفسير مدير متحف الفن الحديث في سان فرنسيسكو للوحات معرضها (الذي اقامته في العام ١٩٦٤ في غاليري كارامندوكا) حين اخبرها ان تكاوين تجربتها التجريدية تبدو كما لو انها بيوت آتية من الشرق.

. هكذا تحولت الالوان الى حكايات لاحاسيس الغربة والبحث عن الجذور وسط متاهات التساؤلات التي تستحضر الماضي لايجاد تفسيرات فلسفية لسر التعلق ببعض الرموز الكونية والشكلية. وشيئا فشيئا تحول الماجس التلويني الى محطة للتأملات والانفعالات والاحلام، التي انعشت الذاكرة وجعلتها تكتشف في مساحات الدفاتر

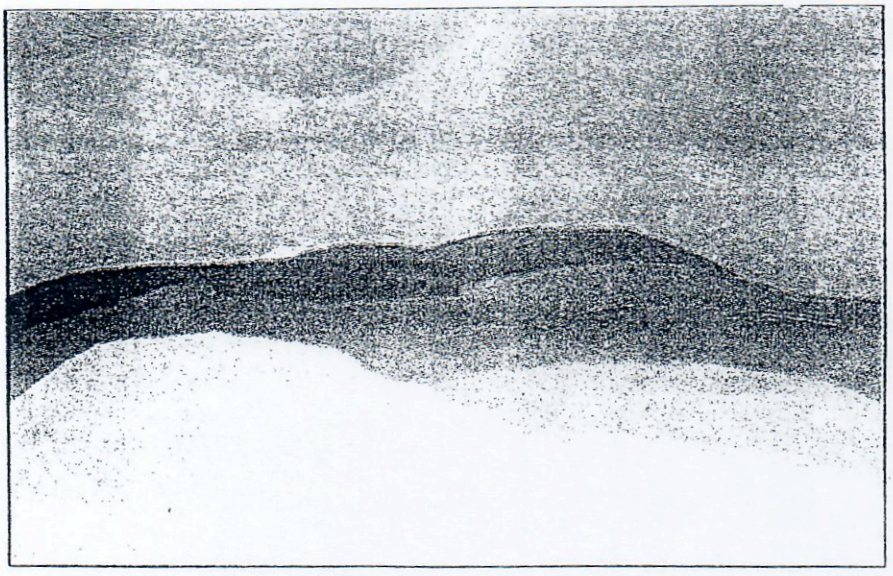

منظر.

المطوية (التي وجدتها اتيل في المدينة الصينية في سان فرنسيسكو) علاقة الالوان المائية والحبر بالسياق الايقاعي للكتابة الشعرية (المتغلغلة في رسوم الاطفال والمخطوطات الشرقية القديمة ودفق لفائف الاوراق التي تسجل نشرات الاحداث العالمية التي ترسلها وكالات الانباء).

وفي مساحات الدفاتر المطوية راحت اتيل عدنان تبحث عن جذورها العربية وتحاول من خلال تهجئة بعض الكلمات ان ترسم لذة اكتشافها لايقاعات القصيدة العربية... فرسمت قصائد لبدر شاكر السياب (مدينة السندباد) ومي مظفر (القمر) وبلند الحيدري (الى بيروت مع تحياتي) ومحمود درويش (رحلة المتنبي الى مصر) وادونيس (اغاني مهيار الدمشقي) وعبد الوهاب البياتي (بابلو نيرودا) وجورج شحادة وفؤاد غبريال نفاع وفصل من رواية "حرودة" للطاهر بن جلون.

ومن خلال رسومها للقصائد تعلمت اتيل عدنان العربية. فالقراءة الاولى لعلامات الخط فتحت الوان اللغة على ايقاعات متناوبة لحدس التشكيل في نسقه التعبيري (الايقاعي والتركيبي والتعددي) الصافي والخام، كما هو متداول في فنون الاطفال... وهذا ما جعلها تؤمن اكثر فاكثر ان قوة الفن الحديث تكمن في القدرة على تحويل التعبير اللوني الى تمرين يدمج حركات الجسد برغبات البحث عن حقائق جديدة... فالمشكلة لم تعد (في تحولات تجاربها) اسيرة الخيارات الثقافية التجريدية التي قطعتها وتيرة الاحساس بتجسيد الضفاف الواقعية لمحيط العيش، وانما تفاقمت (هذه المشكلة) من معطيات الادراك المباشر لمشاعر الاغتراب. فموضوع الجبل، الذي رسمته اتيل عدنان من شباك محترفها في سوساليتو (في سان فرانسيسكو)، بعد عزلة قصيرة فرضتها رغبات الابتعاد عن التدريس والتفرغ الكامل للكتابة والرسم، كان (هذا الموضوع) يحمل في طياته رموز الجذور المستعادة "للجبل الملهم" (الذي كتب عنه في الثلاثينات شارل القرم).

ارادت اتيل عدنان، من خلال رسم جبل تالمبيس طيلة اكثر من عشر سنوات، التركيز على ايجاد حلول بلاستيكية لمشاكل المثلث بعد سيطرة تنويعات المربع لفترة طويلة على ايقاعات تجاربها التجريدية السابقة. كانت تحاول ايجاد مقاربة (في مسلكيتها الاختبارية) من منهجية سيزان وهوكوزاي ونيقولا دي ستايل في تأمل تحولات الطبيعة... وشيئا فشيئا تحولت تجاربها عن تنويعات الجبل الى قصائد بصرية عرضتها في العام ١٩٨٦ في مركز للفنون في كاليفورنيا.
(MARIN CONTY CIVIC CENTER. SAN RAFAEL)Æ

وفي هذا المعرض، الذي رافقت لوحاته نصوص وقصائد ديوانها "رحلة الى جبل تالمبيس"، جاهرت اتيل عدنان بعلاقتها (المزمنة) بالجبل الهندي (الملهم) الذي ينتمي في الوانه الى المناخ المتوسطي (نسبة الى الوان البحر الابيض المتوسط). فاللوحة هنا تبحث عن توازنات خفية لعلاقة تأمل المناخ بالذكريات، في مرحلة ترافقت مع قراءة وكتابة الملاحظات الشعرية في الطبيعة. فألوان الطبيعة "الكاليفورنية" تذكر بألوان الطبيعة اللبنانية في تدرجاتها وبقعها وتلالها وهضابها القريبة من الساحل. فالصورة الشعرية تتوالد من ايقاع التأملات والرغبات والتخيلات، التي تجعلنا نشاهد المنظر بقلوبنا وأعيننا معا. كما لو ان الفكرة التي تدور حولها تكاوين المنظر تولد من حركة الالوان في الطبيعة لتعود الى حركة الاحساس باللون في مظهره الرمزي التبسيطي كما هو متداول في فنون الاطفال.

(*) معرض اتيل عدنان يقام في غاليري ٥٠×٧٠ (الحمراء – نزلة ابو طالب – بناية الصليب الاحمر الدولي – الطابق الاول) ويستمر لغاية ٢٤ كانون الاول (يوميا من العاشرة حتى الواحدة ومن الثالثة حتى السادسة مساء ما عدا الاحد) ويتضمن مجموعة من اللوحات الزيتية والمائية والتجارب حول رسوم القصائد اضافة الى سجاديتين.

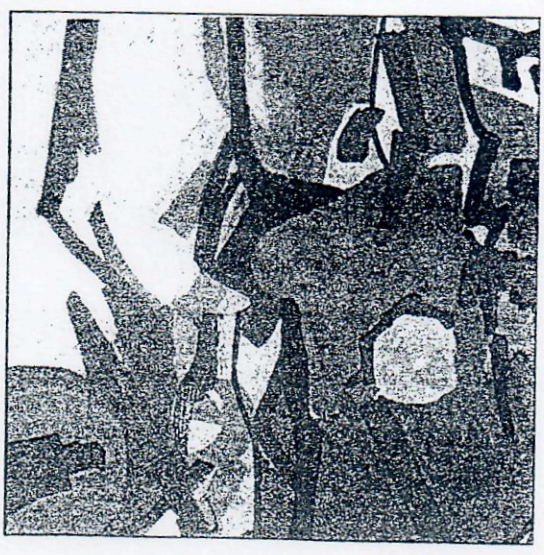

سجادية لايتل عدنان.